المكافآت الترجمية للمصطلحات اللسانية بين مبدأ النسق وحركية السياق

د /مختار لزعر
ج/ عبد الحميد بن باديس
"مستغانم"

لعل من الإنصاف العلمي الموضوعي أن نقول بأنّ الحديث عن إشكالية المفهوم أو المصطلح ظلت سائرة على لسان حال كل باحث لساني لا يستطيع أن يتغافل عنها بحال. ولكن الذي يهمنا في هذا المقام بالذات هو ذلكم الإطار الفلسفي العقلي في شأن موقع المفهوم والمصطلح من الظاهرة اللغوية من بابها الواسع الشمولي؛الأمر الذي جعلنا نتوقف عند مجموعة من التساؤلات في شأن علاقة المفهوم بالمصطلح ليس من زاوية نسقية تقعيدية و إنّما من زاوية وظائفية نستشف من خلالها البعد العلمي للمصطلح،وعليه لعل من أهم التساؤلات هي على النحو الآتي:

- هل هناك علاقة معرفية تربط بين:المفهوم ،والمصطلح؟
- ما المقصود بأنّ المفاهيم ابن بيئتها؟.
- ما المقصود بأنّ المفاهيم تنصاع إلى حقولها المعرفية؛هل على نية الاحتكار والتبعية،أم على نية الاحتواء والشمولية؟ثم أبعد من ذلك هل يجوز معرفيا أن تنتقل المفاهيم من حقولها المعرفية التي نشأت وترعرعت فيها،إلى حقول

معرفية أخرى علّها تجد متنفّسا إطلاقيا يتماشى وما يمتاز به الدرس اللغوي شكلا ومضمونا؟.

- ما المقصود بالمنهج في الدرس اللساني؟وهل هناك علاقة معرفية علمية تجمع بين المنهج والمنهجية في ما يخص الدرس اللغوي،لاسيّما وأنّنا وجدنا من الباحثين من راح يجعل فرقا شاسعا بين مفهومي:(المنهج الحقيقة)،على نحو ما أشار إليه جورج جادمير في كتابه الذي وسمه بهذا المعنى الأخير« **Vérité et Méthode**»على أن تكون الواو ليست على نية العطف أو الجمع بين المفهومين،وإنما على نية التفريق أو التباعد،ومن ثمة فكل والشاكلة التي يسبح فيها؟.

- ما السر المعرفي/الإجرائي في اتصاف اللسانيات بتلكم النسقية،وهي تقتحم عالم المفاهيم عن طريق هذا المبدأ الأخير؟.

- ما السر في انقسام ذلكم الضابط المعرفي/الإجرائي في ما يتعلق بالدرس اللساني إلى حقول معرفية كانت منذ زمن تنتمي إلى اللسانيات لا تستطيع الخروج عنها بحال،ثم حدث ذلكم الانشقاق؛فراحت الحقول المعرفية تتحلى بما تراه مناسبا مع الظواهر التي تتوقف عندها، على نحو ما نجده على سبيل المثال لا الحصر: في علم الأصوات(**Phonétique**)،وعلم الأصوات الوظيفي (**Phonétique Fonctionnelle**)،واللسانيات التطبيقية (**Linguistique Appliquée**)، وفلسفة اللغة(**Philosophie du Langage**)، وعلم العلامات(**Sémiologie**) ، وغيرها كثر؟.

- ما السرّ في أنّ غالبية المصطلحات التي نجدها في الدرس اللساني يغلب عليها الطابع النسقي؛الأمر الذي جعل من المترجمين يهتمون في المكافئات بالجانب النسقي البنيوي مهملين حركية السياق الذي ينبغي أن تراعى في واقع

المصطلح حتى يأخذ المكافئ الترجمي حقه السياقي بكل جوانبه وجهاته الداخلية والخارجية؟

- هل نستطيع تحقيق الوسطية أو"**الواسطية**"بين ما هو كائن في الدرس اللساني/الحداثي من مصطلحات،وما هو كائن في حقل الترجمة من مفاهيم وضوابط يقوم عليها الفعل الترجمي؟.

إنّها مجموعة من التساؤلات التي نراها إلى حدّ بعيد تتماشى مع: المفهوم، والمصطلح؛ الأمر الذي سيحتّم علينا منهجيا التوقف عند إشكالية المصطلح- كما يحلو لها عند كثير من الباحثين إلا من رحم ربّك-وذلك عن طريق بعض من المفاهيم التي كانت محل نزاع بين أهل الاختصاص في الدرس اللساني وبالضبط المصطلحاتي، لنقول في نهاية المطاف قولا لعله يجد قلبا صاغيا فينظر إلى مثل هذه التخريجات نظرة مستقلة تحدوه في ذلك غيرة محمودة تؤهله لأن يضيف شيئا ذا بال للدرس اللساني.

الفضاء العام للمصطلح:

الثابت الذي لا شك فيه أنّ الحديث عن المصطلح هو حديث عن تلكم الأطر الفكرية والفلسفية التي تشكله تشكيلا يتماشى وما يقتضيه السياق الواقعي التي لا تستطيع الألفاظ أن تنسلخ عنه جملة وتفصيلا؛الأمر الذي يجعل من مفاتيح العلوم على اختلاف تخصصاتها أن تبتعد عنه لتستقل استقلالا مطلقا فتكتفي بذاتها منهجا وإجراء. بعبارة أخرى «إنّ مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما به يميز كل واحد منه عمّا سواه .وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم عبر ألفاظه الاصطلاحية حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال

ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته،ومضامين قدره من يقين المعارف وحقيق الأقوال»([1]).

إنّه المصطلح الذي له القدرة الكافية في أن«يمثل العملة التي بدونها لا يمكن أن يتم أيّ تبادل منظم»([2])أو هو«تسمية فنية تتوقف على دقتها ووضوحها معرفة الأشياء والظواهر، بسيطها ومركبها،ثابتها ومتغيرها»([3])، بله أنّ المصطلح «أهم ما يضبط المعنى والأداة والإشارة والنسق ويحدد الدلالة في ضوء مجموع ذلك، مهما دقت أو كبرت الأدوات المعنية لحدّ الإيحاء والرمز واللّمح والأسطورة؛لأنّ للفن لغته ومصطلحاته ومهمته،بها تنضبط المصطلحات وفي ضوئها تتحصن من تباعد الدارسين غير الواعين بخطورة الاستعمال والمجال والسياق»([4]).

على أننا نجده لربّما في سياقات أخرى يمتلك القدرة في الإمساك بتلكم العناصر الموحدة لعالم المفاهيم بحيث يحقق لها عملية تنظيمية في قالب لفظي عوض أن تكون مشتتة.بعبارة أخرى إنّ المصطلح«كلمة أو مجموعة من الكلمات تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية وتسميتها في إطار معين،تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظات معينة.والمصطلح بهذا المعنى هو الذي يستطيع الإمساك بالعناصر

[1]- عبد السلام المسدّي:قاموس اللسانيات،تونس،1984م. ص:11.

[2]- حسام الخطيب:الأدب المقارن،دمشق 1401ه/1402ه. 6/1.

[3]- صلاح فضل:إشكالية المصطلح الأدبي بين الوضع والنقل. بحث منشور بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس،عدد خاص،1409ه/1988م. ص:59.

[4]- علال الغازي:تطور مصطلح(التخييل)في نظرية النقد العربي عند السجلماسي،بحث منشور بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس،عدد خاص،1409ه/1988م. ص:286.

الموحّدة للمفهوم والتمكن من انتظامها في قالب لفظي يمتلك قوة تجميعية وتكثيفية لما قد يبدو مشتتا»([1]).

ثم أبعد من ذلك كله أنّ قضية المصطلح تتوسط بين ثلاث محطات أساسية ؛فهي قضية تتعلق ماضيا بفهم الذات،وحاضرا بخطاب الذات، ومستقبلا ببناء الذات؛الأمر الذي يجعل من هذه العملية فعلا تؤهل سلفا لأن تجعل واقع الفهم يسير مع واقع المصطلح؛وهما إذ ذاك يحاولان في نهاية المطاف أن يحققا للذات الإنسانية تلكم العملية التواصلية السريعة قصد تبادل الآراء والمعارف([2]).من هذا القبيل قيل إنّ «المصطلح، أي مصطلح،ينتمي دون ريب إلى المنظومة الفكرية والفلسفية للمحيط الذي يولد فيه،ويكتسب مناعته وخصوصيته من طبيعة اللون المعرفي الذي يقتضيه ويلتزمه»([3]).

إشكالية المصطلح وأزمة الإشكال:

دأبت غالبية الأبحاث الأكاديمية في هذا الإطار التي راحت تتناول مثل هذه المواضيع الأزمة أو الإشكالية المتعلقة بواقع المصطلح تحاول بكل ما أوتيت مراوغة وعينا ببعد مفهوم المصطلح([4])؛ الأمر الذي جعل من عبد القادر الفاسي الفهري يذهب إلى أنّ«...لهذه العفوية ما يبررها جزئيا حين نلمس عمن يقترح هذه المصطلحات تسليما ضمنيا بمرحلية الاصطلاح. فما من شك أنّ

[1]- أحمد أبو حسن:مدخل إلى علم المصطلح-المصطلح ونقد النقد العربي الحديث.مجلة الفكر العربي المعاصر.ع61/60، 1989م. ص:84.

[2]- ينظر قاسم محمد المومني:ما هو المصطلح؟المصطلح النقدي في النقد المقارن خاصة.مجلة الفكر العربي المعاصر.ع102-103.مركز الإنماء القومي.بيروت باريس .1988م. ص:79.

[3]- المرجع نفسه. ص:80.

[4]- ينظر في هذا المقام محمد إسماعيل بصل: نحو رؤيا لسانية لوضع المصطلح . مجلة دراسات نقدية. ع6. 1995. سوريا. ص: 141

المصطلح يثبت أو ينتقي(أو تتحول وظيفته) باعتبار الظرف، وأنّ المرحلية ملمح يميّز حياة المصطلح في كثير من الأحيان»([1]).

إنّها بدون شك حقيقة لا مندوحة لنا من الإقرار بها والتي يراها الكثير من الباحثين اللسانيين أنّ فوضى المصطلح النقدي،وما آل إليه الآن من اضطراب في النقل،ينمّ عن خلل قد يكون تقنيا أو نظريا،لا يمكن بحال من الأحوال أن تأخذ مأخذا سلبيا يحسب على نقادنا وكتبتنا وهيآتنا الأكاديمية المتخصصة بل وحتى على طاقات لغتنا الحيوية.بل الأجدر في ذلك أن تُفسر تفسيرا إيجابيا يجد مبررا له ضمن سنة الاختلاف التي ينتعش بها نفس البحث العلمي. كما لا يخفى على عاقل أنّ واقع المصطلح النقدي إنما هو مرحلة في حلقة من صيرورة الزمن.

واللافت للانتباه أنّ القول بأزمة المصطلح في الدراسات النقدية على اختلاف سياقاتها المعرفية ينم عن ذلكم التلاقي المعرفي/الإجرائي المتعلق بحقل الترجمة؛على أساس أنّ معظم المصطلحات إنّما تعكس واقعا معرفيا بات من الضروري على من يزاول الحدث الترجمي،أن يتوخى بدرجة عالية ضبط وسائل الجانب التوليد اللغوي(**Néologie**)،وكذا تلكم العملية التطويعية (**Modulation**) القائمة في الغالب الأعم على نقل المصطلح من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف.وبين هاتين العمليتين يحاول المترجم بكل قواه تجسيد عملية توسطية تتعلق ببعد معاني الألفاظ وما تمتاز به من خلفية معرفية فيلتجئ مباشرة إلى الترجمة الحرفية (**Traduction Littérale**) والترجمة الحرّة (**Traduction**

[1]– عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية. دار توبقال للنشر .الدار البيضاء. ط2، 1986 ص: 394.

Oblique) ؛الأمر الذي يؤهله سلفا لأن يحقق ما يسميه أهل الاختصاص بمبدإ التكافؤ أن المعادل الترجمي (**Equivalence**)([1]).

وتجدر الملاحظة إلى أنّنا نجد بعضا من الباحثين المعاصرين ظل يحاول سرد مجموعة من المصطلحات النقدية التي تصب في النقد الأدبي باعتبار ثباتها واستقرار هويتها؛حيث جعلها لا تخرج عن ثلاثة أصناف وهي على النحو الآتي:

- صنف يتسم بذلك الحظ الأوفر من مبدأ الاستقرار وكذا الثبات،حاويا في باطنه المعرفي مجموعة من المصطلحات التي لها علاقة بالأجناس الأدبية ،كالقصة والشعر والمسرح وما تتفرع عنها من أجناس أدبية أخرى كالذي نجده على سبيل المثال لا الحصر:الدراما والمأساة والملهاة.بل أبعد من ذلك أنّ الأمر لا يقف عند هذه الأجناس الأدبية فحسب وإنما يحوي أيضا الأزواج الاصطلاحية التي تصب في عمق الدرس اللغوي من مثل: لغة/كلام، دياكروني/ سانكروني، جدولي/سيّاقي ، تلفظ/ملفوظ.

- صنف ثان ينظمه علم المصطلح(**Terminologie**)والذي يبدو من أول وهلة أنها أي-المصطلحات والمفاهيم-متداخلة الحدود،وهي بذلك تثير لدى المتلقي عدة إشكالات يصعب عليه تحديد الفروقات الدلالية بينها،من مثل:الحقل اللفظي (**Champ lèxematique**) والمسار التصوري(**Parcours Figuratif**)،والقطب الدلالي (**Isotopie**) والموضوعاتي (**Thématique**) .

- وأخيرا صنف من المصطلحات يمتاز به باحث واحد دون سواه من مثل الباحث السيميائي الفرنسي غريماس في كتابه(علامية الأهواء) الذي يعد بحق

[1]- ينظر عبود عبده: الأدب المقارن . مشكلات وآفاق. مطبعة اتحاد الكتاب العرب. دمشق 1998...ص: 191.

نموذجا لا يستهان به في توخي طريقة سبك تلكم المصطلحات المتنوعة والمتعددة وفق المنظومة المعرفية لنظريته([1]).

ثم إنّه لكي تكون عملية نقل المصطلح تستطيع أن تؤتي أكلها لا بد من مراعاة كثير من الضوابط المعرفية التي أشار إليها المنظرون والمتخصصون في علم المصطلح،لاسيما إذا ما تعلق الأمر بحقل الترجمة وواقع المصطلحات التي يتعامل معها المترجمون على اختلاف اتجاهاتهم، وذلك بطرق تتماشى إلى حدّ بعيد مع حركية السياق الواقعي؛ الأمر الذي يجعل من واقع المصطلحات يأخذ مسارا تطوريا وهو يقتحم عالم الحقول المعرفية.في هذا الإطار لا ضير من أن نشير ولو باختصار شديد إلى تلكم التخريجات المتعلقة بضوابط نقل المصطلح للباحث عمار ساسي والذي استطاع-في اعتقادنا-أن يلم بغالبية الضوابط المنهجية في نقل المصطلح وهي على النحو الآتي:

- لا بد من وجود علاقة بين المعنى الأصلي والمعنى الجديد،لكن لا يشترط أن تكون هذه العلاقة قد وصلت إلى حدّ المطابقة بل يكتفي بأدناه.

- لا بدّ أن يراعى في وضع المصطلح الاهتمام بالمعنى قبل اللفظ.

- يستحسن أن لا يختار المصطلح من بين الألفاظ ذات الدلالات الأصلية الشائعة المعروفة؛لأنّ نقل الذهن عنها إلى غيرها أمر صعب.

- يستحسن ألا يصطلح بلفظ واحد لتأدية معان علمية مختلفة،ولكن يلاحظ أنّ الفقهاء المسلمين لم يتقيّدوا بهذا الشرط كثيرا؛إذ نراهم قد يطلقون لفظا واحدا على معان اصطلاحية متعددة.

[1]- محمد الناصر العجيمي:المصطلح النقدي وقيمته المعرفية.الفكر العربي المعاصر. ع 112ـ 113.لبنان. 1999ـ 2000. ص:70-72.

• يستحسن ألا يصطلح بألفاظ مختلفة للمعنى العلمي الواحد،وهذا لا يتقيد به الفقهاء المسلمون بل هم أكثر تحللا منهم عندما نخرج عن دائرة المذهب العلمي الواحد إلى دائرة المذاهب المتعددة،فشركة المضاربة يطلق عليها في بعض المذاهب لفظ المضاربة،بينما يطلق عليها في بعض المذاهب الأخرى قراضا.

• يفضل المصطلح العربي على غيره ما أمكن إليه سبيلا.

• يستحسن تجنب الألفاظ التي ينفر الطبع منها،إما لثقلها على اللسان أو لفحش دلالاتها، ويستحسن تجنب النحت ما أمكن.

• يستحسن مراعاة ميزان الصياغة العربية حتى لا يشذ المصطلح المنقول صيغة ودلالة

• لا يقبل المصطلح المنقول إلا بعد التأكد من انعدامه في التراث العربي الأصيل.

• لا بدّ من بعث علم الصيغ لأداء دوره اللازم في صناعة المصطلح العربي العلمي الدقيق.

• لا ترادف في المصطلح العلمي الدقيق؛إذ إنّ ذلك يكرّس ازدواجية في المصطلحاتية.

• يقوم وضع المصطلح على الدلالة والوظيفة والمقصد.

• في وضع المصطلح لا بدّ من التميز بين اسم الذات واسم الصفة.

• لا اشتراك في المصطلح العلمي الدقيق إذ إنّ ذاك يكرّس الازدواجية الدلالية في المصطلح.

• في المصطلح العلمي لا يمكن بحال أن تفارق الدلالة اللغوية الأصلية الدلالة الاصطلاحية الفرعية ([1]).

لعلها أبعاد نحسبها أنّها تفي بالغرض المقصود القائم في الإشكال المصطلحاتي،الذي ظل حينا من الدّهر يراود الدرس اللغوي بشكل عام والدرس الترجمي على وجه أخص،ومن ثمة بات من الضروري أن يتوقف الباحثون المتخصصون عند دلالة المصطلح لحظة نقله من بيئته الأصل إلى ثقافة ما قصد تحقيق عملية تبادلية مبنية على العطاء المعرفي حسب السياق المرغوب فيه؛الشيء الذي يجعل من العملية التحديدية تعطي الاهتمام البالغ لعلاقة المصطلح وما يتماشى وحركية الواقع المعرفي.

من هذا المنطلق وجدتنا نلفي انتباها ملحوظا إلى كثير من المصطلحات، سواء العلمية منها أم اللغوية عند نقلها إلى الدرس اللغوي العربي يحدث ذلكم التضارب الإطلاقي اللامحدود؛ إذ كل ينحو نحو شاكلته التي يؤمن بها دون أن يحيد عنها.ولكي يواكبنا القارئ المتخصص في مثل هذا الجانب المتعلق بإشكالية المصطلح لا ضير من سرد مجموعة من المصطلحات النقدية التي انتقلت إلى الخلفية العربية، وهي تعاني لحدّ الآن من تحقيق مكافئ معادل يستطيع أن يعي بحق المعنى الكائن في ثقافة الأصل المتعلق.

مصطلح (Sémiologie) وإشكالية المكافئ العربي:

إنّ أدنى تأمل في مصطلح السيميائية الذي يتقاسمه من حيث الجانب الترجمي في اللغة الإنجليزية تعبيران هما:(**Simiology**) و(**Semiotics**)، يدرك العاقل المتخصص بأنّه ظل عرضة لتلكم الاختلافات المتعلقة بالمقابلات العربية

[1]– ينظر عمار ساسي:اللسان العربي وقضايا العصر(رؤية علمية في:الفهم،المنهج، الخصائص،التعليم، التحليل) . دار المعارف. ولاية بليدة. 2000م.. ص ص:58-59 .

التي غدت تختلف من مقام إلى آخر،وذلك تبعا للزاوية التي يراها كل منهم؛فهناك السيمبيولوجيا والسيميوطيقا والسيميوتيك وكذا علم الإشارات والإشاراتية وعلم العلامات والعلاماتية وعلم الأدلة والسيميائية والسيميائيات وهلم جرّا،مما تزخر به ترجمة المصطلح بإجراءاتها النظرية والتطبيقية،والسبب في هذا كله أنّه-على حد اعتقاد مجموعة من الباحثين-«يحمل جذرا عربيا،كما يحمل أيضا معطى صوتيا معربا للصوت الأجنبي،ويقبل الإضافة والجمع والنسبة والاشتقاق»([1]).

وتجدر الملاحظة-والحال هذه-إلى أنّ مصطلح(السيميا)إن هو في الحقيقة إلاّ مصطلح دخيل لا يخرج عن معنى السحر والشعوذة،على أن يكون مصطلح(السيمياء)في اللغة لا يخرج عن العلامة بمعناها الواسع،وذلك مصداقا لقوله تعالى:{سيماهم في وجوههم من أثر السجود}؛الأمر الذي جعل من الباحث الناقد عبد الواحد لؤلؤة يذهب قائلا: «...لماذا لا نتجنب المزالق ونقول السيمائية وهي ترجمة أفضل في نظري من العلاماتية أو علم الإشارة؛إذ يمكن أن يتصرف المصدر الصناعي السيمائية إلى صفة ظرف، في حين يصعب الصناعي أو يستغرب الأمر في غير ذلك»([2]).

مصطلح (Réception) وإشكالية المعادل:

دأبت الأقلام على اختلاف اتجاهاتها الفكرية والفلسفية عند ترجمة مصطلح أو مفهوم(**Reception**) باللغة الإنجليزية،أو(**Réception**)باللغة الفرنسية أو (**Rezeption**) باللغة الألمانية دائما تجعله على معنى التلقي أو

[1]- فاضل ثامر: إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب النقدي الحديث. بيروت.الدار البيضاء. ط1994،1م. ص:12.

[2]- عبد الواحد لؤلؤة:أزمة المصطلح النقدي،مجلة علامات.1994م. ص:122.

الاستقبال أو التقبل. ولئن كانت تلكم هي حال المصطلح الأول فما بالك بالمصطلحات الأخرى([1]).

غير أنّ ما يلفت التنبه في قضية هذا المفهوم بالذات(التلقي)والذي غدا غالبية المتخصصين في حقل الترجمة بخاصة وبالنقد النقد **Méta critique** أنّهم لربما نسوا أو تناسوا هذا المفهوم بأنّه يأخذ بعدا وجوديا/معرفيا بحجة أنّه قد ورد في واقع النص القرآني مصحوبا بسياقات حالية راحت تصطحب ذاتية النبي عليه الصلاة والسلام لحظة نزول عليه هذا الواقع الإطلاقي إن على مستوى اللفظ أو المعنى،ومن ثم استوجب المقام طرح بعض من التساؤلات لعل من أهمها ما يلي:

- ما السرّ الوجودي/المعرفي في الفعل(نلقي)الوارد في قوله تعالى{إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا}([2])؟
- ما علاقة فعل(الإلقاء)بالحدث القولي؟أهي عملية تستطيع كل الذوات تحملها،ومن ثم إدراك أبعادها وأغوارها العميقة؟أم إنّها عملية إلقائية (التلقي)جعلها الخالق فقط مقترنة بذاتية النبي عليه الصلاة والسلام؟.
- هل قيمة(التلقي)تقاس بما ينطوي تحت فعل(التلقي)في حدّ ذاته،أم في حدّ ذاتية الفعل الإنجازي القولي أو الكلامي الواقع بين الباث ومستقبل الخطاب؟.

[1] – عبده عبود:التلقي أم الاستقبال أم التقبل؟مقدمات منهجية لدراسة استيعاب نظرية التلقي الأدبي ومنظومتها المصطلحية في الوطن العربي،جامعة اليرموك،1994م.ص: 20.

[2] – من سورة المزمل الآية5.

- لماذا تجدنا في الغالب الأعم عندما نريد التحدث عن مصطلح(التلقي) دائما نعود إلى تلكم المدونة الألمانية الغربية التي أضحى روّادها يتحدثون بإسهاب كثير فيما يخص هذا المصطلح الأخير،وكأنّ بنا لا مندوحة لنا من إدراك مثل هذا المصطلح وغيره كثر إلا في هذه المدونة الغربية التي أضحت تتربع على سلم الإعطاء أو المد اللامحدود،وما علينا إلا التبعية العمياء التي لا تعرف البتة النظر والتدبر والتأمل في تراثها العربي الأصيل الذي يزخر بالكثير من المفاهيم والمصطلحات؟.

- إذا كانت هذه الحقائق-وغيرها كثر-لا مناص من التيقن بها ومنها بحكم أنّها وردت في محكم واقع النص القرآني،فلم لا نقرّ بها إقرارا جازما وقاطعا ثم نقيس تلكم الأبعاد المتعلقة بنظرية(التلقي)على هذه الحقائق المتعلقة بـ: (التلقي)الواردة في النص القرآني؟بل أبعد من ذلك كله لماذا عندما نتحدث عن واقع هذا النص القرآني دائما ما نُنعت بذلكم(الانغلاق) إن على مستوى الفكر أو المعرفة أو التطور؟.

مصطلح (Narratologie) وإشكالية المكافئ:

إنّه مصطلح السّرد أو السّردية أو علم السّرد أو نظرية القصة أو القصصية أو المسردية أو القصيات أو السّردولوجية أو الناراتولوجيا التي راحت في الغالب الأعم تقابل-عن قصد أو غير قصد-المصطلح الأصلي عند غالبية أهل الاختصاص وهو(**Narratologie**)وهي ترجمات يغلب عليها التعريب الجزئي والكلي معا([1]).

[1]- ينظر فاضل ثامر: اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي الحديث. بيروت، الدار البيضاء،ط1، 1994م. ص: 11.

مصطلح (Herméneutique) وإشكالية التحديد:

إنّ قراءة أي تراث سواء أكان لاهوتيا أم فلسفيا أم فكريا في ضوء مشكلات الواقع الراهن الذي نعيشه بكل مجالاته الداخلية والخارجية على السّواء،إنّما يمثل بحق الهموم الفلسفية في الفكر الغربي المعاصر،وقد اقترنت في نشأتها بالبحث في مشكلات تأويل الكتابات الدينية المقدسة مسيحية ويهودية،وذلك تحت اسم الهيرمنيوطيقا **Herméneutique** ([1])؛ذلك أنّه ثمة فجوة لا تردم تماما بين ما هو كائن وموجود في الكتب الدينية القديمة منذ آلاف السنين قبل مجيء الإسلام،وبين ما يمكن أن يقال الآن بأنّه نفس ما كان سائدا وموجودا في تلكم الآونة([2]).

إنّ فكرة التأويلية([3])غالبا ما تداخلت دونما قيد أو شرط مع فكرة الجانب التأويلي،غير أنّها تنفرد من حلقة التأويل البسيطة والعادية في كونها تسعى إلى

[1] -Herméneutique: c'est une théorie de l'interprétation des signes, une réflexion philosophique sur les symboles religieux, les mythes et, en général toute forme d'expression humain sur le sens de l'émotion, celui d'une ouvre d'art etc.… L'Herméneutique des phénomènes humaines, qui requièrent une interprétation et une compréhension, s'oppose à l'analyse objective des phénomènes de la nature: c'est une notion cardinal de la philosophe moderne, notamment de la phénoménologie existentielle (Heidegger dans L'ETRE ET LE TEMPS, Jaspers, Sartre, P. Ricoueur) L'existence humaine et un signe dont le philosophe doit cherche le sens……voir dans ce contexte Dictionnaire de la philosophie la Rousse. Didier Julia. Paris. Pp: 123-124.

[2]- ينظر في هذا المقام نصر حامد أبو زيد: الخطاب والتأويل. ط1.المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء المغرب. 2000م. ص:173 بشيء من التصرف.

[3]- لقد فضلنا استخدام كلمة تأويلية مقابل مصطلح(Herméneutique) وهي ترجمة نحسبها دقيقة في شأن المصطلح ونحن بذلك نذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور عبد الملك مرتاض حين رأى بأنّ كثيرا من الباحثين العرب من انصاع إلى ترجمة المصطلح في صورته الأصلية الغربية على أساس أنها ترجمة هجينة ثقيلة. يقول في هذا المقام ما نصّه:«...وعلى أنّ من النقاد العرب من ترجم هذا المصطلح إلى العربية في صورته الغربية بكل فجاجة فأطلق عليه(الهرمنيوطيقا) وهو من أقبح ما يمكن أن ينطقه الناطق في اللغة العربية، ونحن لا نقبل بهذه الترجمة الثقيلة ما دام العرب عرفوا هذا المفهوم وتعاملوا معه تحت مصطلح التأويل فلم يبق لنا إذن إلا أن نستعمل(التأويلية)مقابلا للمصطلح الغربي القديم.وإنا لا نرى بتعددية هذا المفهوم بالقياس إلى الاستعمالين الاثنين: المصطلح الفلسفي L'herméneutique، والمصطلح النقديL'interprétation». د/عبد

تأسيس النظرية.ومن ثمة كانت فكرة التأويلية بوصفها نظرية للتأويل لتلكم الآونة بناء على أحد تعريفاتها الكلاسيكية فعلا،تميل أصلا إلى الانشغال بالتوجيه السليم للجانب التأويلي،وهو يلتزم في كل الحالات بشروطها وحدودها ومداها.

من هذا المنطلق وجدنا مصطلح(**Herméneutique**)يستقبله الكثير من المصطلحات والمفاهيم المتضاربة بين الحين والآخر على نحو:علم التأويل، والتخريج،والتفسير،وغيرها كثر فضلا عن تعريب اللفظ الدخيل الذي ظلت كثير من الأقلام تتناوله في أبحاثها: الهرمنيوطيقا، وهيرمينيوتيك.غير أننا نؤمن بمصطلح التأويلية الذي يستطيع أن يفي بالغرض المقصود،ولأنّه في الوقت نفسه يمثل فعلا الخلفية المعرفية التي يزخر بها التراث العربي الأصيل في علاقته بواقع النص القرآني والمضارع لمصطلح الهيرمنيوطيقا([1]).

مصطلح (Langage/Langue/Parole) وإشكالية التحديد:

الثابت الذي لا مرية فيه أنّ ما أشار إليه فردينان دي سوسير المتعلق بإشكالية المصطلحات الثلاثة **Langage/Langue/Parole** يهدي بالعاقل إلى أنّه كان على وعي عميق«...بالقضية لمّا أشار إلى خصوصية المقابلة التي عقدها بين **Langue/Parole** منبها إلى أنّ هذه المفاهيم ليست لها القيمة نفسها في بقية اللغات التي يعرفها؛ففي الألمانية نجد كلمات (Sprache) وهي تشمل في آن معا دلالة المصطلحين الفرنسيين**Langue/Parole . أما(Rede)** الألمانية أيضا فهي تناسب تقريبا مصطلح (**Parole**) مع إضافة معنى (**Discours**).في حين إنّ المصطلح الفرنسي(Sermo) يشمل المصطلحين الفرنسيين (**Langue/Parole**)

الملك مرتاض: التأويلية بين المقدس والمدنّس. مجلة عالم الفكر. المجلد 29. العدد الأول الكويت. 2000م. ص:263.

[1]- ينظر عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي وآليات صياغته.مجلة علامات. 1993م. ص:98.

وهذا ما جعله يقول:لا توجد كلمة تناسب مناسبة دقيقة مفاهيم **Langage/Langue/Parole** بالشكل الذي حدّدناه أعلاه»([1]).

ويروي لنا محمد النوري-نقلا عن قاسم محمد المومني-تلكم الأبعاد المعرفية المتعلقة بتحديد إشكالية المصطلحات الثلاثة **Langage/Langue /Parole**؛حيث يعطي لكل واحدة منها تحديدا لا يخرج عن تلكم التحديدات التي راح دو سوسير يشير إليها عن طريق مؤلفه الموسوم بـ:الألسنية العامة.

يقول في هذا المقام ما نصّه:«وحتى يتم تجاوز الإشكال الذي تؤدي إليه الترجمة؛فإنّ المهمة في ما يقال-أيضا-هو إدراك القيمة الدلالية للمصطلح؛ فمصطلح (**Langage**)تعني عند فرديناند دي سوسير الظاهرة اللغوية باعتبارها مؤسسة بشرية كونية لا تختلف في بعدها المؤسساتي عن سائر المؤسسات التي عرفتها المجتمعات البشرية.أما(**Langue**) فهو النظام الذي يتعالى على الأفراد،هي جملة القواعد التي تحدّد ضمن حالة لغوية معينة استعمال الأصوات والأشكال ووسائل التعبير التركيبية والمعجمية. فهي تجريد باعتبارها نظاما متعاليا.وهي ظاهرة اجتماعية بما أنها توفر النمط الذي يحتذيه كل أفراد المجموعة اللغوية الواحدة في أفعالهم اللسانية وردود أفعالهم.أما(**Parole**)فهي تخص الاستعمال الفردي لهذا النظام المتعالي؛فهي ظاهرة فردية محسوسة تخرج بالوضع اللغوي من وضع التجريد إلى وضع المحسوس،ومن وضع القاعدة إلى وضع استعمال القاعدة،وبالجملة فإنّ عدم الانتباه إلى دلالة المصطلح في اللغة المنقولة منها من شأنه أن يوقع في أخطاء فادحة مضحكة،من ذلك تلك النادرة التي يرويها أحد الألسنية معرضا ببعض من بذلوا جهدا بين(-**Structural**

[1]- قاسم محمد المومني: ما هو المصطلح؟المصطلح النقدي في النقد المقارن خاصة.مجلة الفكر العربي المعاصر.ع102-103.مركز الإنماء القومي.بيروت باريس .1988م. ص:86.

Structurel)مع أنّ الاختلاف الوحيد بينهما اختلاف مصدرهما،فالدلالة واحدة لكن الأول ترجمة من الألمانية والثاني ترجمة من الإنجليزية»([1]).

هي تحديدات أو فروقات متعلقة بالمفاهيم:اللغة،الكلام،اللسان،من الوجهة النسقية التي حدّدها دو سوسير في مؤلفه المشهور والتي سار على شكالتها غالبية المنظرين الذين تربوا على يديه إلا على النزر القليل الذي حاول أن يعطي لتحديد كل مفهوم من هذه الثلاثة ضابطا يعتمد على الجانب السياقي الوظائفي الذي همّه الوحيد الاستعمال فحسب،تماما ما حاولت النظرية السياقية مع بعض روّادها أن يتعاملوا مع هذه المفاهيم الثلاثة من زاوية وظيفية؛الأمر الذي خلّف لنا فيما بعد ما سمّي بالنظرية التداولية أو نظرية الاستعمال اللغوي.

لعل أهم ما يمكن ملاحظته في هذا التَّطواف الوجيز في شأن علاقة المكافئات الترجمية بالمصطلح اللساني على اختلاف إطلاقاته،هو على النحو الآتي:

1-يظل المصطلح اللساني حاويا على نية كثير ممن ينتسبون إليه بذلكم النسق الذي يمكن نعته أو وصفه بـ:المغلق؛وهذا انطلاقا من كون أنّ كثيرا من المترجمين-إلا من رحم ربّك- ينطلقون في عملية إيجاد المكافئ من هذا الزعم النسقي وهو ما يجعل من المكافئ يفتقد نوعا ما شحنة دلالية قوية مثلما هو عليه الحال في المصطلح الأصلي.

2-عند عودتنا إلى أساليب الترجمة وجدنا أنّ المترجمين يؤمنون بالترجمة السياقية؛وهو جانب أساسي لو وُظف أحسن توظيف لما وقع المكافئ الترجمي في كثير من المتاهات في حق دلالات مصطلحات لسانية.ولكن لربّما يعود السبب في

[1]- المرجع نفسه. ص:86.

رأينا إلى أنّ بين التسمية شيء والإطار الوظائفي للتسمية شيء آخر.بمعنى رغم ورود أسلوب الترجمة السياقية في الحقل الترجمي إلا أنّه عند استعماله من قبل المترجم فإنّه يخضع في الغالب الأعم إلى مقاييس وضوابط تنتمي إلى حقل الترجمة لا إلى جانب وظائفي منطقي يعطي لواقع اللفظ حقّه الدلالي الاستقلالي الذي يليق به ومن ثم يستطيع أن يحقق في نهاية المطاف بعدا تواصليا يختلف باختلاف السياقات والمقامات وهي رؤية نحسبها أنّها تعطي الاهتمام البالغ إلى المكافئ الترجمي لكي يؤهّل المترجم بحق أن يتزوّد برصيد لغوي لا يستهان به سواء من حيث مبدأ النسق أم مبدأ السياق.